كلمة
رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة
الأستاذ الدكتور / عجيل جاسم النشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
الحمد لله الذي رحب بالعلمـاء وأعلا مكانتهم، ورفع ذكرهم، وقدمهم على من سواهم، فقال عز من قائل : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات والله بما تعملون خبير} المجادلة {11: وقـال : إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور} فاطر : 82 } .
ورفع النبي صلى الله عليه وسلم درجات العالم على العابد فقال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم " . وقال: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير " رواه الترمذي (حديث صحيح).
سعادة الأستاذ الدكتور أحمد على الإمام راعي الحفل مستشار رئيس الجمهورية .
سعادة الدكتورة سامية أحمد محمد وزيرة الرعاية والتنمية الاجتماعية
أيها الحضور الكرام ...

نجتمع اليوم في هذا البلد الكريم أهله، العزيز شأنه، الخصيب أرضه، العلي مكانه وقدره، كرمه الله بجريان نهر أوحى الله على جبريل ذكره، وجرى على لسان خير الخلق تعظيمه في أجل موقف وأعلا مقام وصل إليه نبي أو رسول، ليلة المعراج عند سدرة المنتهى قال صلى الله عليه وسلم حين رأى أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران : فسألت جبريل فقال : " أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات" رواه البخاري (30216) .
وقد جعل الله بركة النيل عامة في سائر أرض السودان فسخره ليمر عبر أراضيه من أولها إلى آخرها ، وأكثره جرياناً في السهول الوسطى، وأجرى بقدرته روافده حتى شملت السهول الشرقية والجنوبية الشرقية ، فما تركت بقعة إلا اقتربت منها وتذللت لها حتى بلغت الأراضي الزراعية من خير النيل نحو اثني عشر ونصف مليون هكتار أي نحو (5.2) من مساحة البلاد التي تربو على(2.5) مليون كيلو متر مربع وهي مساحة لا تشغلها الأيدي العاملة في السودان الآن.
وأحسب أن لو وفق الله القائمين على استصلاح مزيد

من الأراضي بوسائل التنمية الاقتصادية الإسلامية لعم الخير وبلغ الشعب حد الترفه. وأهم هذه الوسائل صكوك المزارعة بإصدار وثائق متساوية القيمة لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تمويل مشاريع ضخمة على أساس المزارعة فيصبح لحملة الصكوك حصة في المحصول. وصكوك المساقاة لتستخدم حصيلتها في سقي أشجار مثمرة ورعايتها فيصبح لحملة الصكوك حصة من الثمرة، وصكوك المغارسة لتستخدم حصيلتها في غرس أشجار ورعايتها ويصبح لحملة الصكوك حصة في الأرض والغرس.

وهذه الأدوات التنموية كفيلة بتشغيل الأيدي العاملة والمشاركة فيها لقطاعات الطبقات الغنية وأيضا الوسطى والفقيرة بخاصة لضآلة قيمة الحصص في مثل هذه الصكوك. هذا إلى جانب الأدوات الشرعية التنموية الأخرى كالمضاربة والمرابحة والاستصناع والمساهمات والمشاركات.

أيها العلماء الأجلاء:

إن الهيئة العالمية لقضايا الزكاة المعاصرة تهدف إلى سد الثغرات في التطبيق المعاصر لركن الزكاة، ليقع تطبيق هذا الركن العظيم موقعه الشرعي الصحيح وبخاصة في القضايا الاقتصادية والمحاسبية في ممارسات الدول والمؤسسات المالية الإسلامية من الشركات والمصارف. من أجل ذلك تفرغت الهيئة العالمية لبحث ودراسة المعضلات الاقتصادية والمحاسبية في الشركات بخاصة، وقد بدأت بهذه المهمة ابتداء من الاجتماع التأسيسي للهيئة العالمية في الكويت بتاريخ 7 صفر 1804هـ الذي يوافقه 30 سبتمبر 1987م تنفيذاً لقرار المؤتمر الأول لقضايا الزكاة المنعقد في الكويت بتاريخ 29 رجب الذي يوافقه 30 أبريل 1984 م. وقناعة لدى المؤتمرين بأن إحياء وتطبيق هذا الركن العظيم يحتاج إلى العلم والفقه قبل العمل، ولذا عقد الإمام البخاري: باب العلم قبل القول والعمل مستشهداً بقوله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين وفي حديث معاذ موقوفاً عليه "العلم إمام، والعمل تابعه" .

أيها الحضور العزيز، أيها العلماء الفضلاء :

إن هذا الركن الاقتصادي الاجتماعي التنموي يستحق من العلماء بل يُلزمهم أن يبذلوا فيه ما وسعهم من الجهد والوقت، ومن يطلع على حصيلة عملكم في هذه الندوات الاثنى عشرة يسعد كثيراً ويدعو الله لكم بالأجر والمزيد، فقد بلغت ندواتكم العلمية اثنتي عشرة ندوة، وأصدرت زهاء خمسين ومائة قرار، وخمس وثلاثين توصية، وناقشتم ما يربو على خمسة وخمسين موضوعاً، ونظرتم فيما يربوا على مائة بحث

وإن مما يشير إلى عظمة هذا الركن وأهميته وصعوبة مسالك تطبيقه عناية السنة النبوية في شأنه حتى بلغت الأحاديث والآثار المروية فيه زهاء خمسمائة وسبعة آلاف حديث.

ولقد تناولت الندوات السابقات لهذه الندوة قضايا زكوية غاية

في الأهمية ولو لم يكن من نتاج لجهودكم المباركة سوى "كتاب دليل الإرشادات لمحاسبة زكاة الشركات" لكفى لما يسده من حاجة ماسة لتطبيق الزكاة جمعاً وصرفاً في حسابات الشركات والدول. وما زال في قائمة الموضوعات الزكوية ما يحتاج إلى بحث ودرس نسأل الله أن ييسر الطريق ويذلل الصعاب.

أيها العلماء.. أيها الحضور الكرام السعداء:

إن جهود العلماء وحصيلة فقههم، تستلزم من الحكام أن يقدروا لهذه الجهود قدرها، ويدركوا عظمة هذا الركن، ويدركوا قبل هذا أن تطبيق الشريعة حتم لازم، وهو محز العقد بين الشعوب المسلمة وحكامها، فالعقد هو سياسة الناس في أمور دينهم ودنياهم، وفي شأن الزكاة قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ثم المسلمين خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} التوبة :301} قال الإمام ابن عطية في تفسيره : "الخطاب يقتضي أن الإمام يتولى أخذ الصدقات أو الزكوات، وينظر فيها" .

وهذا الخطاب موجه أيضاً إلى حكام المسلمين قاطبة، فهم معنون بجمع الزكاة وحسن وضعها في مصارفها المحددة بنص كتاب الله ولا يحل أن تعدوها، في عبادة لا ضريبة. والحاكم بمنزلة خليف النبوة في تنفيذ أمور الناس عباداتهم ومعاملتهم وغيرها. قال الإمام الماوردي: " إن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا" وحكام المسلمين اليوم أبعد ما يكونوا منزلة عن هذا المقام الرفيع حتى يرجعوا إلى تبعية كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وينبذوا ما سواهما توبة صادقة ناصحة وإلى أن يشرفوا بذلك المقام يسع الناس أن يضعوا زكواتهم حيث أمر الله أن توضع.

أيها العلماء يا من قاموا بواجبهم في الدنيا سعدوا في جنة الله في الآخرة بفضله وكرمه لا شك أن للزكاة غرضاً اجتماعيا عباديا هاماً، إنها استثمار للأمة بأكملها وهي على الخصوص تنمية لأموال الأغنياء ومدخرات الفقراء، فإن الزكاة حين تؤخذ من الأغنياء وتوضع في يد الفقراء، فإن استغناء الفقراء وسد حاجاتهم مآله إلى نماء مال الأغنياء فيكون المال دائراً بين بائع ومشتر، كما أن الزكاة تتقصد الفقراء فتسد جوعتهم حتى يمكنهم أن يتعلموا ويفقهوا، وقد ينبغوا فيكونوا فتحاً على الدولة بأسرها في اختراع أو ابتكار، فكم من فقير نابغة دفين بين جيوش الفقراء، وكم من عالم متميز دفين الجوع، ولو وجد ما يسد جوعته، ويرفع غائلة الجوع عن كاهله لدرس وابتكر وأبدع، وأنَّا له ذلك، وهو منشغل يومه فيما لا يكاد يقيم أوده، وقد يبيت أياماً في مسبغة مضنية، وقد يدفعه ذلك إلى ذل السؤال، ومن ذل لا يؤمل منه عزة أو نبوغ. وقد يجد المسلم ما يسد الجوع ولكن يشغله صد الظلم ومقاومة الظالمين. فسد الحاجة والأمن من لوازم السعادة وإقامة أمر الديانة، ولذا يقول الإمام أبو حامد الغزالي: " من كان جميع

أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتان إلى سعادة الآخرة، فإذن نظام الدنيا أعنى مقادير الحاجة شرط لنظام الدين ".

ويوجه العلامة ابن خلدون نصيحته إلى حكام الظلم والمخابرات والجواسيس والمعتقلات، ويبين كيف تكون عاقبة الظلم على النفوس وعلى أداء العباد وعمران البلاد فيقول:"إن الملك إذا كان قاهراً باطشاً منقباً عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة، فتخلقوا بها، وفسدت بصائرهم... فإن الاستعباد يؤدي إلى إسراع الفناء إلى الأمة المستعبدة بسبب ما يحصل في النفوس من التكاسل، فيقتصر الأمل ويضعف التناسل، فإذا ذهب الأمل بالتكاسل تناقص عمرانهم، وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم ".

يقول أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة النعمان رحمهما الله في رسالته إلى هارون الرشيد رحمه الله: "... إن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور بالتثبيت والأمر البين" .

أيها الفقهاء، أيها الاقتصاديون، أيها المحاسبون، أيها الحضور الكرام:

إن الزكاة أداة تنمية بكل المقاييس الاقتصادية الحديثة، مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم"ما نقص مال من صدقة" (رواه الترمذي) . فيقرر أهل الاختصاص اليوم بأن وعاء الزكاة يرتبط بالنشاط الاقتصادي، وأن معظمه يتكون من الدخل أو الناتج المتولد من استخدام عناصر الإنتاج المتاحة في المجتمع، ومن ثم فإن حصيلة الزكاة ترتبط ارتباطاً وثيقاً وطردياً بمستوى النشاط الاقتصادي القائم في المجتمع، وبما أن النشاط الاقتصادي غالباً ما يكون في حالة نمو وتزايد مهما ضعفت معدلات نموه، فإن ذلك يعني أن حصيلة الزكاة تنمو وتتزايد مع نمو النشاط الاقتصادي، وغالباً ما تقتطع الزكاة كجزء من ذلك الناتج السنوي للنشاط الاقتصادي لذا فإن من خصائص الزكاة، أنها لا تأكل وعاءها، بل بالعكس تزيد من معدلات نمو النشاط الاقتصادي مما يترتب عليه استمرارية نمو حصيلة الزكاة، ولعل هذا سر قول النبي صلى الله عليه وسلم السابق ذكره: "ما نقص مال من صدقة" .

أيها الحفل الكريم:

رغم أن الزكاة في أغلب البلاد الإسلامية متروك إخراجها على من وجبت عليه يضعونها في يد مستحقيها فقد قامت الزكاة بدور هام في رفع غائلة الجوع، وتعدت ذلك إلى بناء

المستشفيات والملاجئ وسبل الماء وحفر الآبار، وشق الترع واستصلاح الأراضي، بل إنها تجاوزت ذلك إلى بناء المعاهد والمدارس والكليات والجامعات، وتفريغ الدعاة وتنشيط الجماعات والحركات الإسلامية. ونظن أن الزكاة قد تكفلت بما لا يقل عن(80%) من هذه الأنشطة الخدمية والاجتماعية والدعوية. وأعملت الزكاة في مصارفها كلها، وبخاصة مصرف في سبيل الله.

وإن دور الزكاة هذا لفت أنظار أعداء الإسلام وقد غفلوا عنه سنوات حتى دخل الإسلام بيوتهم، واستقطب كثيراً من أهل العلم والرأي فيهم. ورأوا أنه لو ظل الإسلام في اندفاعه فإنه سيهدد مجتمعاتهم ويغير فلسفتها الاجتماعية والفكرية والسياسية القائمة على العلمانية وحرب الدين. فسارع اليهود إلى استلام زمام المبادرة وحركوا في وجوه المسلمين الدول، وافتعلوا كثيراً من الأحداث، كما استغلوا السذج وشذاذ الآراء والاجتهادات الخاطئة الذين لم يعرفوا من الإسلام إلا التكفير والقتل وسفك الدماء. فكانوا خير مطايا لتشويه صورة الإسلام والمسلمين. واستطاع اليهود بما لهم من تأثير إعلامي وسياسي ومالي في أمريكا وأوربا أن يجعلوا الإسلام قرين الإرهاب، فإذا أطلق أحدهما دل على الآخر.

ولقد نجح الكيد والمكر في تجفيف منابع الزكاة. وهو أهم مورد كان يبعث الحياة في سائر الأنشطة الاجتماعية والدعوية في العالم أجمع. وقد تدخلت أمريكا بشكل سافر ومباشر في تتبع مصادر الأموال غير مفرقة بين ما يذهب للفقراء والأيتام والأنشطة الدعوية السلمية، وبين الأنشطة التي يسمونها إرهابية، فخلطوا هذه بتلك عمداً، وساعدهم على ذلك ذل المسلمين وهوانهم على الناس. ولكن الأمل في الله كبير أن يعين الشعوب الإسلامية في تجاوز محنتها، ويهيئ لها من يقيم لها الصلاة والزكاة، ويحتكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وسلم عليه، وينبذ ما سواهما وما على المسلمين إلا الإخلاص والدعاء والعلم والعمل ونصرة دين الله ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

أيها الحضور الكرام ، يا أهل السودان النجباء:

هنيئا لكم ظل الشريعة التي تسعون جادين في طريق نصوصها ومقاصدها إلى إسلام إعلامكم وتربية بيوتاتكم ومجتمعكم، وإسلام مناهجكم وثقافات طلاب العلم من بينكم وأهليكم وأسركم، هنيئاً لكم إسلام ساستكم وسياستكم، فقد طال بذلك الأمد حتى قست القلوب وأجدبت، وتحقق في مجتمعاتنا ضنك العيش والغي المتوعد به لمن أعرض عن ذكر الله، وذكر الله كتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى {طه : 124-126}.

ومما لا ريب معه أن سعيكم هذا شريف عظيم بشرف وعظمة مقصدكم، فشريعة الله مطلب كل مسلم ومسلمة، فسلعته غالية ، إن سلعته الجنة ودون تحقيق هذا المقصد الجسام. فأعداء الإسلام لكم بالمرصاد يتكالبون عليكم من كل حدب وصوب. ويرمونكم عن قوس واحدة ما وسعهم ذلك، خبيئتهم يهود يكيدون ويدسون وينفخون في نار الحقد، فيسيرون الدول العظمي ليبطشوا بكم أو يحاصروكم اقتصاديا أو يتآمرون أو يألبوا عليكم أو يفعلوا ذلك كله مجتمعاً.

ونحسب أن لو قدر الله لكم إشغالهم عنكم، أو انشغالهم بغيركم بضع سنين وأنتم في طريقكم مخلصين متحدين ليكونن في ذلك عز للإسلام والمسلمين يعم أرضكم ويصدر عنكم إلى من حولكم هداية ومثالاً يقتدى، حتى يكون للإسلام دولاً يؤآزر بعضها بعضاً، فيكونوا يداً واحدة وبلداً واحداً، ويومها تكون يدهم العليا، ويذل لهم يهود وأعوانهم. وما شيء من ذلك على الله بعزيز.

إعلموا وفقكم الله أن من أسباب التمكين لكم في أرض السودان أن تكونوا بالصلاة والزكاة قائمين وبالمعروف آمرين وعن المنكر ناهين، فإن فعلتم فلكم عند الله عاقبة الأمور. قال تعالى : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور {الحج: 41} وإن من أسباب التمكين أن تسعوا الناس بأخلاقكم وانشراح صدوركم، كسعة الإسلام وسماحته، وأن تكونوا أمة وسطاً لا إفراط ولا تفريط. فما خرج الإسلام من المدينة إلا بسماحته، وحسن معشره ، وسعة صدره ورحابة آفاقه وأخذ الناس باليسر وبما يطيقون، وهذا هدى الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر {البقرة :581} وقال تعالى: ما يريد الله ليجعـل عليكم من حرج { المائدة :6 } وقال صلى الله عليه وسلم : "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين " وإن جماع أسباب التمكين وخلافة الأرض وإقامة دولة الإسلام خمسة في كتاب الله، هي: الإيمان الصادق بإفراد الله بالعبادة، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: وعـد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهـم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون، وأقيمـوا الصـلاة وآتـوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمـون {النور : 55-56 } .

وإننا إذ نغبطكم على ما أنتم فيه وفي طريق استكماله بجد وإخلاص، لندعوا العلي القدير أن يوفقكم ويسدد طريقكم، ويوحد كلمتكم ووجهتكم، ويدرأ عنكم أعداءكم والكائدين لدينكم، وأن يجعل ربيع قلوبكم القرآن حتى تغمر قلوبكم التقوى وليفرج الله عنكم ويهديكم ويفتح لكم أبواب الرزق في الدنيا والآخرة مصداق وعود الله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً

ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا {الطلاق:7} ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض {الأعراف : 96 } .

ومع فتح أبواب الرزق، يحميكم الله، ويدافع عنكم، وينصركم على أعدائكم ولو تظاهـروا عليكم فهذا وعــد الله ما أقمتم الصـلاة وأديتـم حق الزكـاة، قال تعـالى: ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة {الحج 40-41} .

وفي الختام لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر صاحب المقام الرفيع سعادة السيد عمر البشير رئيس الجمهورية على ما لقيناه من ترحيب وحفاوة معهودة من أهل السودان .

كما نتوجه بالشكر إلى سعادة الأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام راعي الحفل مستشار رئيس الجمهورية .

كما نتوجه بالشكر إلى الدكتورة سامية أحمد محمد وزيرة الرعاية والتنمية الاجتماعية.

كما نشكر لوزير الأوقاف والشئون الإسلامية السودانية الشيخ الدكتور عصام البشير، ووزير الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية الأستاذ الدكتور عبد الله معتوق المعتوق ، كما نشكر للعلماء فقهاء واقتصاديين ومحاسبين وسائر الحضور الكرام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،